

بيع الأمل... صناعة الزعامة باراك أوباما... ورفيق الحريري إلى عبد الفتاح السيسي

■ د. جواد شاهين*

قبل أسابيع من الانتخابات الرئاسية المصرية، يظهر التفوق الواضح للمرشح المشير عبد الفتاح السيسي في استطلاعات الرأي في مصر. يعزى هذا التفوق في جزء منه إلى عدم ترشح أحد من الفريق الإسلامي، المعارض الرئيسي للسيسي والذي يشكل جزءاً لا يستهان به من الشارع المصري، واقتصار المنافسة بين المشير والمرشح حمدين صباحي الذي ينتمي إلى نفس الجهة في الخصومة مع مرسي والإسلاميين.

هذا التأييد الكبير للسيسي في الشارع المصري العائد أساساً لمجموعة من الأسباب ما يعطينا ما بينها ما كان من دور فعال لوسائل الإعلام في إبراز الرجل وإظهاره وتقديم صورته بصفته «المنقذ لمصر وشعبها».

يشير هذا الدور إلى تطور دور وسائل الإعلام السياسي في إيقان مهنة جديدة لا يستطيع المواطن تحليلها بمفهوم قوانين العرض والطلب ومعادلات التسويق واللعبة تقوم الاستعمار والبناء على عناصر واقعية ومحورها التركيز على مساوئ أو أخطاء الحاكم في سبيل قلب الرأي العام ضده خدمة لمنافسه وليست مجرد لعبة مفتعلة فيستحيل النجاح بها عندما تلعب منفردة وتفتقد المقومات والجاهري فيها القدرة على توظيف المساوئ المعيشية في حياة الناس ليربطها بفشل الحاكم من جهة والقدرة الموازية على بيع الأمل الذي يجسده الحاكم الأتي.

ففي أمريكا، يعود جزء كبير من فوز أوباما في الانتخابات الرئاسية عام 2008 إلى أنه جاء مباشرة خلفاً للرئيس السوء جورج بوش ومناوئاً لنهجه في شن الحروب التي أزهقت الاقتصاد الأميركي ولم تقض على الإرهاب، وليس بسبب برنامج أوباما الانتخابي فقط. كذلك الأمر في فرنسا حيث أدى سوء إدارة الرجل القوي الرئيس نيكولا ساركوزي وغطرسته إلى جعل إمكانية الفوز عليه أمراً ممكن التحقيق، فكان فوز فرنسوا هولاند الذي، للمفارقة، لم يشغل في حياته أي منصب رسمي قبل تبوؤه سدة الرئاسة.

أمر شبيه ومن زوايا مختلفة يتكرر في مصر حيث أن أي مرشح يواجه نهج محمد مرسي سيتمتع بنسبة جيدة من التأييد الشعبي بغض النظر عن البرنامج الشخصي لهذا المرشح. هذا التأييد الشعبي الساحق للسيسي المرتبط أساساً بعنوانين مفعمين بالرومانسية واحد اسمه في كل بلدان الشرق أن إفلاس الطبقة السياسية يعادل تلقائياً شعار الجيش هو الحل والثاني هو التعلق بماضي الأجداد والعزة التي تستثيرها صورة جمال عبد الناصر في الذاكرة الجماعية للمصريين، فكيف تمت يعيش المصريون قلق المهانة والمذلة المترامكتين منذ رحيل عبد الناصر وقلق الأمن الضائع منذ بداية حكم مرسي؟

قوة الإعلام هنا هي في قدرته على ربط اليأس بالحاضر وبيع الأمل مع مرشح المستقبل.

يتكرنا هذا على رغم اختلاف الأشخاص والظروف والمعطيات وربما الماضي والمستقبل لكل من التجريبتين بالتأييد الكبير للرئيس رفيق الحريري في الأيام التي سبقت وصوله إلى السلطة قبل عشرين عاماً ونيف. أعتمد الحريري يوماً، بالإضافة إلى تأييد نفس الجهة الخليجية الداعمة للسيسي اليوم وهي المملكة العربية السعودية، على رعاية إعلامية مهدت لاستلامه الحكم من دون منازع حيث تم تصوريه على أنه المنقذ الأوحد للشعب اللبناني من الأزمات الاقتصادية والاجتماعية بعد الحرب الأهلية الطاحنة. وقتها، تذكر جيداً كيف تمت «شيطنة» رئيس الحكومة عمر كرامي وتنظيم المظاهرات التي عمت البلاد مطالبة بإسقاط حكومته وتحمله مسؤولية انهيار العملة، كل هذا ضمن خطة منهجية لتجميع صورة «المنقذ الحريري أمام الناس».

عمل الحريري في الفترة الأولى على تقوية موقعه الإعلامية، اشتري أسهماً في منظم وسائل الإعلام اللبنانية، وتم الضغط على الشخصيات ووسائل الإعلام التي عارضت نهجه. لعبت الدعاية الإعلامية والرعاية الدولية دوراً في الترويج للحريري على أنه الرجل-الفرصة للبنان وشعبه، وأظهر الواقع بعد سنوات أن الحلم ما كان إلا سراباً، حيث أدت السياسات الاقتصادية والمالية لنهج الحريري إلى دخول لبنان في أزمة اقتصادية خانقة منذ سنوات.

المشترك هنا ليس اتهام السيسي ورفيقه بأفتعال شيطنة مرسي ولا نسبة الملائكية لمرسي كما يصح القول بنسبة معينة في حالة الرئيس عمر كرامي ولا يصح بأي نسبة في حالة مرسي وليس أيضاً رمي التأييد الشعبي كله على حملة إعلامية مهما كانت مصادر قوتها فهي لن تنجح بتغيير الواقع وصناعة الأمل بل المشترك هو حرفة توظيف الواقع ومهنة صناعة الربط بين الحاضر واليأس والأمل والمستقبل وهي حرفة تزيد قيمتها بالنجاح المحقق وفقاً لمعادلات التسويق والعرض والطلب عندما تنطلق من معطيات أقرب للواقع فيصير لمفعولها قدرة الاستدامة كما يحدث عندما ننشر سلعاً نكتشف مطابقة وصفها في الإعلان مع ما نجد فيها من ميزات بل عندما نكتشف ما يسميه الباعة بخدمة ما بعد البيع وهو ما شكل نقطة ضعف حملة الحريري وربما يشكل مصدر قوة حملة السيسي. شعار نعم لتطبيع وشعار هي مصر وشعار البلد ماشي من أوباما للسيسي للحريري علامات على دور الإعلام في صناعة الزعامات.

سيفوز السيسي في الانتخابات وسيهل المصريون لذلك وستتوافد الوفود المهنئة إلى القصر الرئاسي في مصر. بعض الخوف هو من رؤية نسخة منقحة بالوجوه والأسماء والمكان عن سيناريو وصول الحريري إلى السلطة عام 1992. وبعض الأمل هو من تفاوت الظروف والخبرات والتجار والمجتمعات والأشخاص. يبقى الفصل للمقبل من الأيام والسنين.

* دكتور في القانون وأستاذ جامعي

بعد اجتماع استثنائي عقده المكتب السياسي لـ«القومي» في دمشق العظمة؛ ندعو إلى ترشح الرئيس الأسد وإلى انتخابه لأنه ضمانه انتصار سورية على الإرهاب واستمرارها في موقعها القومي



المكتب السياسي خلال اجتماعه في دمشق

المحلية والنيابية والرئاسية... وهي قوانين إصلاحية لدولة ديمقراطية حديثة متجددة، وللمجتمع ناهض وموحد.

وأكد العظمة أنّ الانتخابات الرئاسية تأتي تنويهاً للمسار الدستوري الديمقراطي، وأنّ الحزب السوري القومي الاجتماعي يؤكد أهمية هذه الانتخابات وفقاً للاصول الدستورية والقانونية الناظمة لها.

وإن العظمة التذخلات الأجنبية المساندة للإرهاب والهادفة إلى عرقلة إنجاز الاستحقاق الدستوري، ودعا السوريين، والمقيمين والمغتربين إلى أوسع مشاركة في هذه الانتخابات. وأعلن العظمة أنّ قيادة الحزب السوري القومي الاجتماعي، وتعبيراً عن إرادة السوريين القوميين الاجتماعيين في الوطن وعبر الحدود، تدعو إلى ترشح الرئيس بشار الأسد إلى منصب رئاسة الجمهورية العربية السورية وانتخابه لهذا الموقع، لأنه ضمانات انتصار سورية على الإرهاب والمؤامرة التي تستهدف دورها ووحدها واستقرارها.

وأضاف: إنّ الحزب السوري القومي الاجتماعي يرى في الرئيس بشار الأسد ضمانات السوريين لبناء دولة مدنية حديثة قوية وعادلة وضمانتهم لترسيخ وحدة السوريين لتقني عصية على العصبية المذهبية والطائفية والتفتيتية. وتابع: إنّ قيادة الرئيس الأسد تشكل ضمانات استمرار سورية في موقعها ودورها القومي، قاعدة لمقاومة العدو الصهيوني وأطماعه في بلدنا ومناورة تشع على محيطها القومي والعالم برسالته الجديدة في الانتصار على تثنين الإرهاب، وفي الانتصار أيضاً في معركة إعادة البناء والنهوض والإصلاح.

وختم قائلاً: إنّ السوريين القوميين الاجتماعيين الذين استنفروا كل طاقاتهم للدفاع عن أرضهم السورية في مواجهة الهجمة الإرهابية، واعدوا هذه الأرض بدماء شهدائهم الزكية، هكذا هم دائماً يعلنون مواقفهم جلية واضحة في المحطات الفاصلة المتعلقة بمصير أمتهم ومجتمعهم.

واعتبر العظمة أنّ إنجاز هذه الورشة التشريعية الإصلاحية في ظل المحنة التي تعيشها سورية، يدل على وجود إرادة قوية، دفعت باتجاه تحقيق أساسيات برنامج الإصلاح الذي أطلقه وريعاها الرئيس بشار الأسد... كما أنّ الاستحقاقات الديمقراطية في موعدها الدستورية، من إجراء انتخابات المحلية والنيابية، والآن الانتخابات الرئاسية، يعزير عن عميق التزامه بالدستور وبالقوانين وبالديمقراطية سبيلاً إلى بناء الدولة عبر مشاركة

والثقفين والإعلاميين إلى لعب دورهم كاملاً، في شرح أهداف وبعاد الحرب الإرهابية على سورية، والخطر الوجودي الذي تضله المجموعات الإرهابية المتطرفة على سورية ولبنان والعراق والمنطقة بأسرها، وتظهر جرائم المجموعات الإرهابية التي تعيث قتلًا وتدميراً لكل مقومات الحياة في سورية. وأشار العظمة إلى أنّ مواجهة المجموعات الإرهابية، ودفع خطرها عن سورية، لم يكن الدولة عن تحمل مسؤولياتها، فقد استمرت إدارات الدولة ومؤسساتها

عقد المكتب السياسي للحزب السوري القومي الاجتماعي في الشام، اجتماعاً استثنائياً في دمشق، حيث جرى التداول في الاستحقاق الرئاسي في الجمهورية العربية السورية، والمرشح الذي تجتمع فيه كل صفات القيادة من أجل إيصال سورية إلى بر الأمان. وفي نهاية الاجتماع عقد رئيس المكتب السياسي الدكتور نذير العظمة مؤتمراً صحافياً أعلن خلاله موقف الحزب السوري القومي الاجتماعي، حيال الاستحقاق الرئاسي.

واستهل العظمة المؤتمر الصحافي بالإشارة إلى أنّ الحرب الإرهابية التي تتعرض لها سورية منذ ثلاث سنوات وتخطت، تستهدف كامل مقومات وجودها، وعلى رأسها مشروع الدولة، باعتباره تجسيدا قوالياً وسياسياً للوحدة الاجتماعية. وقال: إنّ هدف القوى المعادية التي انخرطت في الحرب على سورية هو إسقاط الدولة، بغية إسقاط الاستقرار الذي نعمت به سورية على امتداد عقود من الزمن، وللنيل من وحدة السوريين التي شكلت أهم عوامل قوة سورية، ولتقويض دور الجيش السوري الذي شكل حصناً للوحدة الداخلية وللاستقرار ولقوة سورية في مواجهة المخططات «الإسرائيلية» الغربية.

إن تركيز المؤامرة على عوامل القوة الأتفة الذكر إنما كان لإسقاط موقع سورية في معادلة الصراع القومي ولدورها في قيادة الخط المانع والقوام في الأمة دفاعاً عن القضية القومية عامة وعن فلسطين على وجه الخصوص.

وأضاف العظمة مخاطباً السوريين: لقد نجحت سورية في إفشال أهداف المؤامرة، وذلك بفضل شجاعة قائدها الرئيس بشار الأسد وحكمته وبعد نظره، وبفضل بسالة الجيش السوري وتضحياته الجسام في مواجهة المجموعات الإرهابية المتطرفة التي استقدمت إلى سورية من كل أصقاع الدنيا وعانت فيها خراباً،

إلى ذلك، تقدمت وحدات الجيش السوري في بلدة المليحة في الغوطة الشرقية لدمشق وقتلت أعداداً كبيرة من المسلحين بينهم عشرة قادة مع استمرار المعارك بين الطرفين، فيما نفذ الجيش كمينين استهدفاً عناصر من «جيش الإسلام» قرب بركة العتيبة.

وركزت مدفعية الجيش نيرانها على تجمعات المسلحين في دير العاصف وزيدتين ومزارع القاسية والبالية في عمق الغوطة الشرقية وزمكا، ونفذت وحدات أخرى عمليات في جوبر وحرسنا وعدرا وجبرود ومزارع دوما. وفي حلب، واصلت وحدات الجيش السوري تمشيطها مناطق العاصف والراموسة والشيوخ سعياً بعد السيطرة عليها أول من أمس، وقتلت أعداداً من المسلحين ودمرت تحصيناتهم، فيما استهدفت وحدات أخرى مسلحين في باليرون والمدعية والصناعية ومحيط السجن المركزي وخان العسل والجبلية وبنى زيد والسكن الشباني ومارع وعندان والمنصورة وكفر حمرا وكفر حلب وعزاز وكويريس ورسم العبود والجديدة وعريدي. ونفى التلفزيون السوري الرسمي سيطرة المسلحين على سوق الزهراوي والسوق في حلب القديمة، فيما أسفر تفجير ضخ استهدف خلاله المسلحون مبنى غرفة الصناعة بالقرب من قلعة

اضطرابات معان... وبدء ارتدادات الحرب على سورية على الداخل الأردني

■ حسن حردان

ما جرى ويجري في مدينة معان الأردنية في الجنوب إنما هو شكل من أشكال ارتدادات تورط دول جوار سورية في تغذية ودعم الحرب الإرهابية عليها.

فالجاعات الإرهابية التكفيرية ضمت في صفوفها سلفيين أردنيين متطرفين، والأردن شكل ممراً لهم ولعناصر مماثلة قدمت من السعودية، ليبيا، أفغانستان وتونس وغيرها، وتسللوا عبر الحدود الأردنية إلى الداخل السوري، ولم يأبه النظام الأردني حينها لتحذيرات الدولة الوطنية السورية لمخاطر هذا التورط وانكاساته عليه في المستقبل.

ومنذ بداية الأزمة كان النظام الأردني يعيش حالة انقسام وقلق دائمين، فهو من جهة يخضع للوصاية الأميركية الخليجية وينفذ أجندتها الهادفة إلى تغذية الحرب في سورية، ومن جهة ثانية يشعر بالقلق من ازدياد قوة الجماعات السلفية المتطرفة في الأردن وسورية. ومن تنامي خطرها على استقرار الأردن في الحالتين؛ في حالة نجحت في تدمير سورية وإسقاط نظامها الوطني فإنها سوف تمد نفوذها إلى الداخل الأردني وتعمل على الإطاحة بالنظام ليصبح تحت سيطرة الإخوان المسلمين الذين يشكلون الغطاء السياسي لهذه الجماعات السلفية، كما هو مرسوم أميركياً وتركياً، خصوصاً مع وصول الإخوان المسلمين إلى السلطة في مصر، قبل أن يسقط حكمهم ويتبدل المشهد في غير مصلحتهم.

وفي حالة فشلها، سوف تعود هذه العناصر الإرهابية من سورية إلى الأردن، ويتحول الأردن إلى مكان لتجمع هؤلاء، ما يعني أنهم سيبدأون بإثارة القلاقل والاضطرابات وبث وإشاعة أيديولوجيتهم المتطرفة التكفيرية، وبخاصة في المناطق النائية الفقيرة والمهمشة التي تعاني من البطالة، والتي تشكل تربة خصبة لذلك، مثل مناطق الجنوب الأردني، الأمر الذي سيفقد إلى تجبير الاستقرار والأمن وانتقال شرارة الإرهاب من سورية لتضرب في الأردن.

اليوم يمكن القول إن الحالة الثانية هي التي حصلت، حيث فشلت الجماعات الإرهابية في تحقيق أهدافها في سورية. والجيش السوري أصبح يتقدم في كل المناطق، مستعيداً سيطرته عليها، خصوصاً بعد أن حسم السيطرة على منطقة القلمون في ريف دمشق، وإسقاط خطة إقامة إمارة للقاعدة في هذه المنطقة المحاذية للحدود مع لبنان لجعلها نقطة ارتكاز أساسية لتقويض الدولة الوطنية السورية.

وأدى فشل الجماعات المسلحة إلى مزيد من التحولات السلبية على المشروع الأميركي الغربي. الخليجية التركي، وبدت العناصر الإرهابية البائسة من إمكانية استعادة زمام المبادرة في الميدان السوري، وتغيير ميزان القوى بالعودة إلى البلدان التي جاءت منها عبر دول جوار سورية، ومنها الأردن الذي شكل ممراً من المعرّات الرئيسية لدخولها إلى سورية إلى جانب لبنان وتركيا والعراق.

وما يزيد من خطورة هذه الجماعات في الأردن اعتماد النظام الأردني سياسات لا وطنية متمثلة بالصلح مع العدو الصهيوني، وسياسات اقتصادية اجتماعية فاقدة للتنمية والعدالة الاجتماعية ومرتكزة إلى وصفات صندوق النقد الدولي والفلسفة الليبرالية الاقتصادية القائمة على تقليد الاقتصاد الريعي (القطاع المالي والقطاع العقاري) على حساب القطاعات الإنتاجية (زراعة وصناعة).

وأدت هذه السياسات إلى إضعاف التنمية في مدن الجنوب الأردني وبخاصة في عاصمة معان، حيث فقدت مصادر عيشها الأساسية. بعد الاتفاق مع الكيان الصهيوني وإجتاح القوات الأميركية للعراق، فيما هي حُرمت من أي مشاريع تنمية حقيقية، فلا زراعة مدعومة، ولا مصانع في المنطقة، في حين أن طريق الحج الذي كان يمر عبرها جرى تحويله، أما استفادة سكانها من العمل في النقل البري (الشاحنات) بين الأردن والعراق والخليج فقد تلاشت بعد الحرب في العراق. في ضوء ذلك، كان من الطبيعي أن تستفيد قوى التطرف والتكفير من هذا الواقع، واقع البؤس والحرمان والبطالة والتهجير وتعمل على استقطاب الشباب العاطل من العمل، وتالياً زيادة نفوذها في مدن الجنوب المحرومة.

لهذا ليس غريباً ما يحصل هذه الأيام من تصاعد في تهديد الجماعات المتطرفة بضرب مؤسسات الدولة وصولاً إلى تهديد الملك عبدالله الثاني شخصياً في دلالة على تنامي قوتها وقدرتها في الأردن. فالنظام الأردني اليوم يدفع ثمن تورطه في الحرب الإرهابية على سورية، وهو يحصد نتائج تغذية قوى الإرهاب التي قويت في الأردن.

إن مواجهة خطر الإرهاب في الأردن، لا يمكن فصله عن موجهته في سورية أو العراق أو مصر. وهذا يستدعي من النظام الأردني إذا كان يريد فعلاً التصدي لهذا الخطر، التنسيق أمنياً مع الدولة الوطنية السورية، كما هي حال العراق، كما تستدعي أيضاً إعادة النظر بسياساته الداخلية والانفتاح على القوى الوطنية الأردنية وكل مكونات الشعب الأردني وإشراكها في القرار ومواجهة هذه الجماعات المتطرفة، وقبل ذلك وضع خطة اقتصادية اجتماعية لتنمية المناطق المحرومة والفقرية، وتالياً مغادرة سياسات النيوليبرالية المتوحشة التي أفقرت الشعب الأردني وهمشت الإنتاج الوطني لمصلحة تركز الثروة بيد قلة من حيتان المال المرتبطين بدوائر الرأسمالية الغربية.

Email: hassan.hardan56@yahoo.com

الجيش السوري يتقدم في «السمر» بعد عملية إنزال بحرية

بعد تمكن الجيش السوري والقوات الرديفة من انتصاف موجة الهجوم الأولى التي نفذها المسلحون باتجاه كسب والمناطق المحيطة بها في الريف الشمالي لمدينة اللاذقية قادمين من الحدود التركية، ودعم مدفعي مباشر من تركيا، وتمكنه من استعادة بعض القمم الاستراتيجية في المنطقة، شن الجيش السوري فجر أمس مدعوما بالقوات الرديفة هجومًا بريًا وبحريًا واسعًا تمكن خلاله من استعادة السيطرة على مخفر قرية السمر، وصولاً إلى الشريط الحدودي مع تركيا، ما دفع المسلحين للانتسحاب إلى الشرق والشمال من المنطقة المستهدفة.

الهجوم انطلق من محورين أساسيين، إذ شنت القوات الرديفة هجومها انطلاقاً من جبل تشالما، فيما نفذت وحدات البحرية في الجيش السوري إنزالاً على شواطئ السمر، بالتعاون مع تغطية مدفعية وجوية كثيفة، ما سرّع عملية السيطرة وسط انهيار سريع لدفاعات المسلحين. فيما استمرت الاشتباكات العنيفة في الأحياء الشمالية الشرقية من القرية. ووصفت المدفعية السورية بالتزامن مع الهجوم خطوط دعم وإسناد المسلحين في نبع المر ومحيط دبسة والساطل، فيما شن الطيران الحربي غارات مركزة استهدفت الأبراج المحيطة بكسب.

